(١)

الوفاء وحفظ الجميل

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: { وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الوفاء وحفظ الجميل من القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف، وقد مدح الله (عز وجل) الأنبياء (عليهم السلام) لاتصافهم بهذا الخلق النبيل، حيث يقول (عز وجل) في شأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام): {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، ويقول سبحانه في شأن سيدنا يحيى (عليه السلام): {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}.

ولا شك أن أولى الناس بالوفاء وحفظ الجميل لهم الوالدان، فهم أصحاب الفضل التام على أبنائهم، وقد أمر الله (عز وجل) بالإحسان إلى الوالدين، والوفاء لهما، حيث يقول سبحانه- مذكِّرًا الأبناء بجميل آبائهم بعدما بلغ الآباء مرحلة الكِبَر والضعف-: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}، كما يتصل الوفاء للوالدين وحفظ الجميل لهما بعد موتهما، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ).

ومن أرقى صور الوفاء: الوفاء بين الزوجين، بأداء الحقوق، وحسن العشرة، وحفظ المعروف، حيث يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) والمتأمل في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يرى أنه صاحب اليد العليا في الوفاء لزوجته السيدة خديجة (رضي الله عنها) وحفظ جميلها في

مواساته ونصرته (صلى الله عليه وسلم)، فقد ظل نبينا (صلى الله عليه وسلم) وفيًّا لذكراها حتى بعد موتها، فكان يكثر الثناء عليها، والاستغفار لها، وإكرام صديقاتها، حيث جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأحسن (صلى الله عليه وسلم) استقبالها، وأكرمها، فسألت السيدةُ عائشة (رضي الله عنها) نبيَّنا (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك، فقال لها: (إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ).

ومن صور الوفاء: الوفاء لأصحاب الفضل، ويتجلى في ذلك موقف نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين طيَّب خاطر الأنصار الذين نصروه (صلى الله عليه وسلم) بعد قسمة الغنائم يوم حنين قائلًا لهم: (...فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)، وقال (صلى الله عليه وسلم) في حقهم: (إِنَّ الأَنْصَارَ قَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ، فَاحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عن سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه): (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ).

بل إن خلق الوفاء مع أصحاب الفضل يمتد ليشمل المخالفين، بحفظ الجميل لهم، ومجازاتهم عليه، ويتجلى ذلك حين تذكَّر نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر المُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ، ذلك الرجل الذي دخل النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مكة في جواره بعد عودته من رحلة الطائف، فيقول (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ)، يقصد: أُسَارَى بَدر.

ومن صور الوفاء وحفظ الجميل: الوفاء للمعلِّم، ويكون ذلك باحترامه وتوقيره، والدعاء له، حيث يقول أبو حنيفة رحمه الله: ما صليتُ منذ مات شيخي حماد، إلا

استغفرتُ له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلَّمت منه علمًا أو علَّمته علمًا، ويقول الإمام أحمد رحمه الله: ما بتُّ منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له.

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أعظم صور الوفاء وحفظ الجميل: الوفاء للوطن، فلا شك أنه من شيم أهل المروءة والنُّبل، يقول الأصمعي (رحمه الله): إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، ويتجلى ذلك الخلق النبيل حينما وقف نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة، ونظر إلى مكة بعد إيذاء أهلها له ولأصحابه وتكذيبهم له، وقال: (إِنَّكِ لأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، ولولا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)، وحين دعا (صلى الله عليه وسلم) للمدينة، فقال: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ).

فما أحوجنا إلى أن نتحلى بخلق الوفاء وحفظ الجميل، فهو خلق عظيم، به تسمو النفوس، ويكمل الإيمان، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (خِيَارُكُمُ الْمُوفُونَ الْمُطَيَّبُونَ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين